ECSS
المركز المصري
للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

مقال تحليلي

بين الأزمة الأوكرانية وتمرد فاجنر..

العلاقات الصينية الروسية إلى أين؟

فردوس عبد الباقي – نوران عوضين

الباحثتان بوحدة الدراسات الآسيوية في المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

تنبع أهمية العلاقات الصينية الروسية من حجم ما تحقق من زخم خلال مراحل تطور تلك العلاقة منذ نشأتها حتى وصولها في يونيو 2019 إلى مستوى "شراكة تنسيق استراتيجية شاملة لعصر جديد"، وتأكيد قادة البلدين في يناير 2022، قبل ثلاثة أسابيع من شن روسيا لحربها في أوكرانيا، على عدم وجود أي حدود للصداقة بين بلديهما، الأمر الذي دفع القوى الكبرى الفاعلة في إطار النظام الدولي إلى التفكير في المدى الذي قد تصل إليه هذه الشراكة، وما قد تضفيه من انعكاسات على أوضاع هذه القوى داخل النظام الدولي. فوفقًا لهذه القوى، تمثل العلاقات الصينية الروسية التحدي الأكبر للنظام الدولي القائم.

وعلى نقيض ما تُبديه التصريحات الرسمية الثنائية الروسية الصينية، تكشف تفاصيل مجالات التعاون الروسي الصيني عن وجود مساحات متعددة من الخلاف والتعارض في المصالح والأولويات. ومع ذلك، يظل ما يميز العلاقات الصينية الروسية حتى هذه اللحظة هو ارتفاع مستوى التنسيق والثقة بين قيادتي البلدين، وكذا إصرارهم على تحقيق أهدافهما التي تأسست عليها علاقتهما، والمتمثلة في تعميق شراكتهما الاستراتيجية إلى جانب العمل على موازنة النفوذ الأمريكي العالمي، تمهيدًا لتحقيق غايتهما النهائية في إرساء نظام عالمي متعدد الأقطاب، يمارس فيه كل من الشريكين دوره كقطب دولي فاعل ومؤثر داخل هيكل النظام الدولي. ومع ذلك، تثير المتغيرات

يسعى "المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية" إلى تقديم الرؤى والبدائل المختلفة بشأن القضايا والتحولات الاستراتيجية، على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي على حد سواء. ويولي اهتمامًا خاصًا بالقضايا والتحولات ذات الأهمية للأمن القومي والمصالح المصرية.

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

ecss.com.eg

/ecsstudies

الراهنة وفي مقدمتها تطورات الحرب في أوكرانيا وعدم الاستقرار الداخلي الراهن في روسيا تساؤلات حول ما قد تحمله من تأثير على مستقبل العلاقات الصينية الروسية.

المتغيرات الراهنة

تمر العلاقات الصينية الروسية في الآونة الأخيرة بلحظة اختبار حقيقي وفقًا لسياق شكلته سياسات القيادة الروسية على الصعيدين الخارجي، حيث قرار شن الحرب على أوكرانيا، وأيضًا الداخلي الذي ترتب عنه تمرد أقرب حليف لبوتين، قائد مجموعة فاجنر "يفغيني بريغوجين".

أولًا: الحرب في أوكرانيا

- يتضمَّن الموقف الصيني الرسمي من الحرب عددًا من العناصر الأساسية، والتي يمكن إجمالها فيما يلي: بدايةً، لا تتحمل روسيا وحدها مسئولية ما حدث في أوكرانيا، بل يتحمَّله الغرب أيضًا، ولا سيما الولايات المتحدة؛ لأن الغرب تجاهل باستمرار المخاوف الأمنية لروسيا. وثانيًا من المهم صياغة مفهوم أمني مشترك في المنطقة والعالم، يأخذ بعين الاعتبار مصالح واهتمامات جميع الأطراف، ولا يهيمن عليه الغرب. ثالثًا يجب على الغرب الاعتراف بمبدأ عدم تجزئة الأمن الذي ينص على أن أمن دولة ما لن يتحقق على حساب أمن الدول الأخرى، وأن هذا المبدأ يجب أن يصبح أساس هيكل أمني دولي جديد. ورابعًا تريد الصين، مثل أوروبا، إنهاء الحرب في أسرع وقت ممكن، لكن الصراع سيستمر بسبب تدخل الولايات المتحدة. خامسًا من المهم التخلي عن عقلية الحرب الباردة وفكرة التكتلات والتحول إلى نظام دولي متعدد الأقطاب، براجماتي تلعب فيه الدول غير الغربية دورًا أكثر حسمًا. سادسًا لا يمكن المقارنة بين الأوضاع في أوكرانيا وتايوان؛ لأن أوكرانيا دولة ذات سيادة تعرضت للهجوم من قبل دولة أخرى. أما تايوان فهي جزء من الصين ومعترف بها على هذا النحو من قبل العالم. سابعًا لا تدعم الصين العقوبات الغربية الأحادية الجانب ضد روسيا؛ لأن الولايات المتحدة تستخدم هذه العقوبات وسيلة لتوسيع نفوذها الجغرافي الاقتصادي؛ هذا فضلًا عن أن العقوبات تضر بالاقتصاد العالمي. وثامنًا ترفض الصين توريد أسلحة إلى أوكرانيا، معتبرةً أن هذا مثل سكب الوقود على النار، الذي لن يؤدي إلا إلى تعقيد المشكلة؛ حيث من الممكن أن يؤدي استمرار توريد كميات كبيرة من الأسلحة إلى وقوعها في الأيدي الخطأ؛ مما يتسبب في مشاكل لا نهاية لها، ويخلق مخاطر أمنية في أوكرانيا وفي المنطقة الأوسع.

- وبشكل عام، فإن للصين مصلحة اقتصادية وسياسية كبيرة في حل سريع للحرب الروسية الأوكرانية، وهو ما دفعها لطرح "موقف الصين من التسوية السياسية للأزمة الأوكرانية"، والذي يتضمن 12 بندًا لإنهاء الأزمة.

- تتمتع الصين بعلاقات قوية مع روسيا وأوكرانيا، بما يعزز من موقعها كوسيط محتمل بين الجانبين.

فالصين أكبر شريك تجاري لكلا البلدين، كما تعد روسيا وأوكرانيا مُكوِّنين أساسيين في برنامج البنية التحتية للحزام والطريق، بالإضافة إلى كونهما قنوات لتجارة الصين مع أوروبا، ويهدد الصراع المستمر بعرقلة هذه التدفقات التجارية، ومشاريع الحزام والطريق الطموحة. من ناحية أخرى، تريد الصين إنهاء هذا الصراع بطريقة مناسبة للجميع؛ فكلما طال أمد الحرب ازداد تماسك التحالف الغربي، حيث الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون، فضلًا عن تنامي التماسك داخل الاتحاد الأوروبي نفسه، وهو أمر غير مناسب للصين التي ترى في مثل هذا التحالف عائقًا أمام تطوير علاقات اقتصادية ثنائية مربحة مع العديد من الدول الأوروبية، كفرنسا وألمانيا. ففي إطار تنامي التنافس الصيني الأمريكي العالمي، تفضل الصين الحفاظ على علاقات مربحة مع الجانب الأوروبي، وذلك عبر مدخل ثنائي الأطراف، ولا سيّما في ظل تنامي التحديات التي تقف أمام تقدم العلاقات الصينية مع الاتحاد الأوروبي (كتكتل متعدد الأطراف)، وتجدر الإشارة هنا إلى موقف الجمود الذي تتسم به حاليًا الاتفاقية الشاملة للاستثمار بين الصين والاتحاد الأوروبي.

- وعلى الرغم مما يبدو من حياد صيني إيجابي إلى حد ما لصالح روسيا، حملت الحرب تأثيرات سلبية على الصين أدت إلى فرض مجموعة من الضوابط على الحركة الصينية، بل ذهبت بعض

التحليلات إلى افتراض تنامي خلاف روسي صيني على إثر الحرب، وهو ما استُدل عليه عبر تصريح الرئيس الروسي خلال لقائه نظيره الصيني على هامش قمة منظمة شنغهاي للتعاون بسمرقند (سبتمبر 2022)؛ حين قال: "نثمن كثيرًا موقف أصدقائنا الصينيين المتوازن بشأن الأزمة الأوكرانية"، و"نتفهم قلقكم"؛ وذلك دون تحديد المسائل "المقلقة" التي قد تكون الصين أثارتها بشأن أوكرانيا.

- يتعارض الهجوم الروسي، وما لحق به من ضم روسي لأراضٍ أوكرانية، مع مبادئ السياسة الصينية القائمة على وحدة وسلامة الأراضي، وهو الأمر الذي تجاوزته روسيا عبر شن هجوم وضم أراضٍ أوكرانية إلى سيادتها. ومن ثم يمكن القول بأن التحرك الروسي قد أضر بما تروجه الصين عن مبادئها وقيمها التي هي أداة رئيسية من أدوات سياستها الخارجية.

- وعلى الرغم من رفضها سياسة العقوبات، يبدو أن الصين قد آثرت الالتزام بالعقوبات؛ حيث أوقفت العديد من الشركات الصينية عملياتها هناك، وهذا يشمل شركات التكنولوجيا الصينية الكبرى مثل لينوفو، وشاومي. بالإضافة إلى بنك الصين والبنك الصناعي والتجاري الصيني (ICBC)، وكذا البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية، وشركة "دي جيه آي تكنولوجي" المصنعة للطائرات المسيرة. وفيما يتعلق بشركة DJI، أعلنت الشركة عن وقف نشاطها التجاري في روسيا وأوكرانيا؛ لمنع استخدام طائراتها في القتال؛ وذلك على الرغم من تأكيد الشركة أن منتجاتها مخصصة للاستخدام المدني.

- كما لم تعلن الصين علنًا تقديم دعم عسكري لروسيا، بل نفت هذا الأمر بعدما حذرتها واشنطن من عواقب خرق العقوبات المفروضة على موسكو في هذا المجال، أو دعم عمليتها العسكرية على الأراضي الأوكرانية، كذلك فإن من شأن تقديم مساعدة عسكرية صينية إلى موسكو أن ينتهك سياسة الصين الطويلة الأمد المتمثلة في عدم التدخل.

- يبدو أن الصين قد آثرت الالتزام بالقيود الغربية، لا سيما المفروضة على قطاع التكنولوجيا الروسية، خشيةَ فقدان الوصول إلى التقنيات الغربية؛ فالغرب لديه الكثير ليُقدِّمه أكثر من روسيا في مجالات أشباه الموصلات والبرمجيات والسلع الصناعية المتطورة.

- ومع ذلك، تشير الأحداث والترتيبات اللاحقة، إلى المرونة الصينية في التعامل مع الأزمة، لا سيما مع ما أتاحته العقوبات الغربية من فرصة أمام مزيد من تطوير التعاون الاقتصادي بين الصين وروسيا، خاصة في مجال الطاقة، حيث سجلت واردات الصين من النفط الخام والغاز المسال الروسي أرقامًا قياسية مرتفعة مقارنة بما قبل فترة الحرب. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى اتفاق شركة غازبروم الروسية وشركة النفط الصينية العملاقة سي إن بي سي في سبتمبر 2022، على اعتماد الدفع بعملتي الروبل واليوان مقابل إمدادات الغاز إلى الصين.

- وتبعًا لما تقدم، ارتفع حجم التبادل التجاري بين البلدين ليصل إلى نحو 190.3 مليار دولار، منهم نحو 114 مليار دولار واردات صينية من روسيا، وليقترب الجانبان بذلك أكثر نحو تحقيق هدف 200 مليار دولار، بحلول عام 2024، وهو الهدف المتفق عليه بين الجانبين منذ عام 2011، مع إعلانهما في ذلك الحين وصول علاقتهما إلى مستوى الشراكة الاستراتيجية التعاونية الشاملة، واتفاقهما على ضرورة العمل على تعزيز التجارة الثنائية، مع مستهدف وصول حجم التبادل التجاري إلى 100 مليار دولار بحلول عام 2015، و200 مليار دولار بحلول عام 2020. ولكن نتيجة لعدد من العوامل كأزمة شبه جزيرة القوم عام 2014، وانخفاض أسعار النفط خلال الفترة 2014- 2016، وتباطؤ الاقتصاد الصيني، لم يصل البلدان من تحقيق هدفهما. فيما يبدو أن الحرب بما رتبته من عقوبات غربية اقتصادية على روسيا، قد دفعت الأخيرة نحو إدراك أهمية تطوير علاقات اقتصادية بشكل أوسع مع الصين، وهو ما لاقى ترحيبًا من جانب بكين، لا سيّما مع ما يوفره هذا التطوير من تقديم موسكو لإمدادات من النفط والغاز بأسعار مخفضة.

تطور حجم التبادل التجاري بين روسيا والصين بالمليار دولار

(سنوات مختارة خلال الفترة 1992–2022)

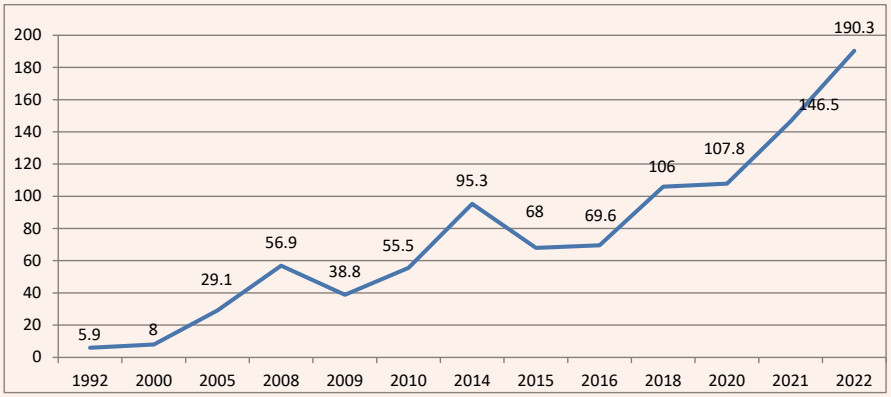

Source: China trade in goods with Russian Federation since 1996 to 2022, International trade in goods and services based on UN Comtrade data. Available at https://cutt.us/yHgS6

- وعلى الرغم من انسحاب الشركات الصينية السابق الإشارة إليه، هيمنت الشركات الصينية على النسخة الخامسة والعشرين من منتدى سانت بطرسبرج الاقتصادي الدولي (دافوس الروسي) في الوقت الذي تجنَّبت فيه معظم الشركات الغربية الحدث. تبرز في هذا الإطار مرة أخرى المرونة الصينية، ففي الوقت الذي قررت فيه بكين سحب شركاتها التكنولوجية ومؤسساتها التمويلية، والتي لها صلات عمل مع العديد من الشركاء الغربيين، وسعت شركات صينية أخرى من حضورها داخل السوق الصيني، لا سيما في قطاعات السيارات والأجهزة المنزلية والهواتف الذكية. وبحسب تشو لي تشون، رئيس اتحاد رجال الأعمال الصينيين في روسيا، ستعمل الشركات الصينية مع شركائها الروس خلال الفترة المقبلة، في العديد من القطاعات من أبرزها: السيارات وآلات البناء والمنتجات الميكانيكية وكذلك الكهربائية، والخدمات اللوجيستية الحديثة والبنية التحتية، إلى جانب العمل على زيادة نسبة تسوية تجارتهما الثنائية وفقًا لعملاتهما المحلية.

تطور الصادرات والواردات الصينية إلى روسيا بالمليار دولار

(سنوات مختارة خلال الفترة 1992–2022)

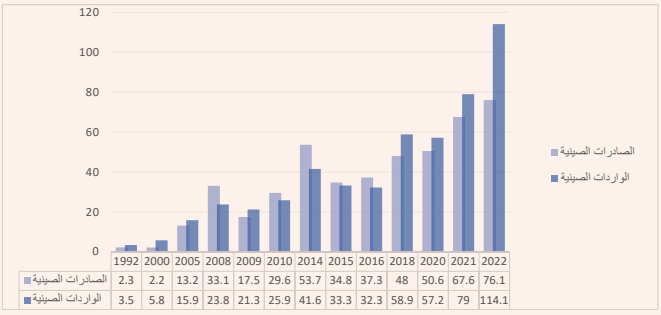

Source: China trade in goods with Russian Federation since 1992 to 2022, International trade in goods and services based on UN Comtrade data. Available at https://cutt.us/yHgS6

- وعلى صعيد التعاون العسكري، حافظت الصين على نفس معدلات مشترياتها العسكرية من روسيا، فيما احتفظت روسيا خلال عام 2022 على موقعها كأكبر مصدر للسلاح إلى الصين.

تقيس وحدة قياس المؤشر أو Trend Indicator Value–TIV، عمليات انتقال القدرة العسكرية بدلًا من قياس قيمتها المالية

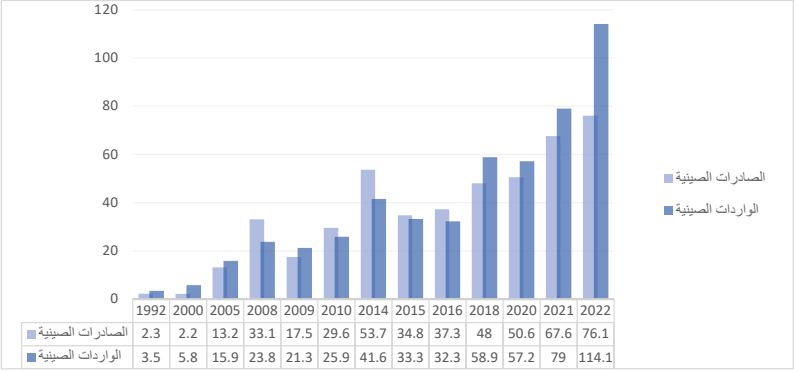

	1992	2000	2005	2008	2009	2010	2014	2015	2016	2018	2020	2021	2022
الصادرات الصينية	2.3	2.2	13.2	33.1	17.5	29.6	53.7	34.8	37.3	48	50.6	67.6	76.1
الواردات الصينية	3.5	5.8	15.9	23.8	21.3	25.9	41.6	33.3	32.3	58.9	57.2	79	114.1

Source: SIPRI Arms Transfer Database, Stockholm International Peace Research Institute, available online: https://armstrade.sipri.org/armstrade/page/values.php

- كما استمر الجانبان في إجراء تدريبات ومناورات عسكرية مشتركة، تزامنت مع زيارات مسئولين أمريكيين إلى منطقة جنوب شرق آسيا. ففي مايو 2022، تزامنت تدريباتهما الجوية مع زيارة الرئيس الأمريكي "جو بايدن" إلى منطقة جنوب شرق آسيا، وحضوره قمة تحالف كواد الرباعي. وفي سبتمبر 2022، شاركت قوات من جيش التحرير الشعبي في مناورة "فوستوك 2022" التي أقيمت في شرق روسيا، وذلك بالتزامن مع زيارة رئيسة مجلس النواب الأمريكي "نانسي بيلوسي" إلى تايوان، والتي تبعتها زيارة أخرى لوفد من الكونجرس الأمريكي؛ وكانت هذه المرة هي الأولى التي ترسل فيها الصين قوات جوية وبرية وبحرية للمشاركة في التدريبات العسكرية الكبرى التي أشرف عليها الرئيس بوتين شخصيًّا.

- وفي أعقاب اختتام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي الصيني، أكتوبر 2022، أجرى وزير الخارجية الصيني مكالمته الهاتفية الأولى مع نظيره الروسي، بما يتماشى مع التقليد المتبع بأن تتصل الصين أولًا بأهم شريك استراتيجي لها بعد المؤتمر.

ثانيًا: كيف تتأثر الصين بتمرد فاجنر؟

- في ظل التوقعات المتلاحقة بتأثيرات تمرد "فاجنر" على حكم "بوتين" والتحديات التي يمكن أن يواجهها، قد تتعرض بكين أيضًا لمجموعة من العراقيل فرضتها العلاقات التي استثمر فيها "شي" مع روسيا منذ توليه الحكم، خاصةً مع حالة عدم اليقين التي تحيط بمسار روسيا في الحرب.

- فيما يخص الموقف الصيني من الحادث، فقد أشار بيان الخارجية الصينية بعد اللقاء الذي جمع بين نائب وزير الخارجية الروسي "أندريه رودينكو" ووزير الخارجية الصيني "تشين جانج" في بكين يوم الأحد 25 يونيو عام 2023، إلى أن حادثة مجموعة "فاجنر" شأن داخلي روسي، لكنه في نفس الوقت أبدى الدعم لروسيا في الحفاظ على الاستقرار الوطني وتحقيق التنمية والازدهار. يشير هذا إلى أن الصين بشكل عام لم تعبر عن دعمها المباشر لبوتين، كما أنها لم تنقد ما قامت به "فاجنر"، وقد يكون وراء ذلك مجموعة أسباب منها؛ رغبة بكين في الحفاظ على خلفاء محتملين لبوتين قد يعيد أحدهم تنظيم الأمة نحو موقف أكثر ودية مع الولايات المتحدة من جديد بما يترك الصين معزولة في تنافسها مع الولايات المتحدة، كما أنها ترسخ مبدأها في السياسة الخارجية المتعلق بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، بالإضافة إلى رغبتها في استمرار العلاقات الاقتصادية على وجه التحديد بين البلدين وهو ما سيجعلها توطد العلاقات مع الكرملين

بشكل مباشر، كذلك فهو يحمل رسالة مبطنة للولايات المتحدة بأن الصين سيكون لها رأي معادي بشأن الحادث في المحافل الدولية.

- من جانب آخر، فإن هذا الموقف يؤكد احتمالية أن الصين لن تتخذ خطوة تتعلق بإرسال قوات صينية لدعم "بوتين" في حالة خروج الوضع عن السيطرة، لكنها قد تساعده في الحصول على مأوى مثلما فعلت مع الملك الكمبودي في عام 1970، رغم صعوبة تخيل لجوء "بوتين" لمثل هذه الخيارات.

- من الاحتمالات الأخرى التي يمكن أن تثير نفوذ الصين على روسيا، يرجعنا لمسألة الوساطة، فقد يستغل "شي" الموقف لحث "بوتين" للتراجع عن طموحاته في أوكرانيا وإن كان من غير المرجح استجابة الأخير لهذا الأمر.

- أما عن التأثيرات المباشرة على الصين، فهي تتعلق بشكل أساسي بمدى احتمالية حدوث اضطرابات داخلية في روسيا التي تشترك مع الصين في حدود يبلغ طولها 4300 كيلومتر، مما قد يجعل هناك احتمالية لانتقالها إما للصين أو لجيرانها، وهذا قد يتطلب من الصين نشر قواتها على الحدود مع روسيا على حساب مناطق أخرى مثل تايوان وبحر الصين الجنوبي أو الحدود مع الهند.

- ومن ثم قد يفرض ما قامت به "فاجنر" تساؤلات حول ما إذا كان التوافق بين البلدين بات يمثل عبئًا على الصين أكثر من كونه خادمًا لمصلحتها، خاصةً أنه على مدار الفترة الماضية من الحرب تعرضت الصين لهزة في صورتها العالمية وعلاقتها مع الغرب من خلال تدعيم علاقتها مع موسكو، لذا سيفرض هذا بالطبع ضرورة قيام "شي" بمراقبة مدى تأثر حكم "بوتين" بمجريات الأحداث الأخيرة، وكيف سيكون أداؤه، لأن رهان "شي" على روسيا كشريك هام في تحدي النظام العالمي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة لن ينجح إلا إذا ظل "بوتين" مسيطرًا بما يساعد في دعم مصالح البلدين المشتركة، إذ إن موافقة "بوتين" على وساطة بيلاروسيا كان حلًا وسطًا وليس تصرفًا من رجل قوي لديه سلطة قوية خاصةً أن قوات "فاجنر" لم تواجه أي مقاومة من القوات الروسية النظامية خلال تمردها، مما يعني هشاشة السياسات الداخلية لبوتين.

- قد يؤدي تمرد "فاجنر" إلى زيادة الحذر والتحوط الصيني في التعامل مع المؤسسات الروسية، كما قد تفكر بكين في استغلال التطورات الراهنة للحصول على المزيد من التنازلات من روسيا، كإتاحة الإمكانية أمام وصول بكين إلى المزيد من التكنولوجيا الروسية، أو فرض شروط أكثر ملاءمة للحصول على صفقة أفضل فيما يتعلق بخط أنابيب الغاز Power of Siberia 2 المقترح، والذي سيحل محل خط أنابيب نورد ستريم 2.

- يرجعنا الحادث للشأن الداخلي الصيني، فإن ما قامت به "فاجنر" يلقي الضوء في الداخل الصيني على ضرورة إحكام السيطرة على السلطة في مواجهة أية منافسين محتملين يمكنهم التأثير سلبًا على شرعية الحزب الشيوعي الصيني، ومن ثم تعزيز قيادة الحزب والجيش المطلقة للدولة. وفي نفس الوقت، فإن ما تواجهه روسيا بشكل عام في أوكرانيا يعطي الصين مزيدًا من ضرورات التأمل في شن حملة عسكرية على تايوان وكيفية التعامل مع التحديات التي قد يفرضها مثل هذا الوضع.

ثالثا: الرؤية الأمريكية للعلاقات الصينية الروسية

وحول وجهة النظر الأمريكية من التقارب الصيني الروسي، وهل هو يمثل تحديًا فعليًا للدور الأمريكي في النظام الدولي، أم أن لها رؤية مختلفة لطبيعة العلاقات بين كل منهما، يمكن ذكر مجموعة من النقاط:

- يتركز التحالف الصيني الروسي بشكل أساسي على إقامة نظام دولي أكثر توازنًا لكن برؤية مختلفة تهدف –في النهاية- لإسقاط الهيمنة الأمريكية الأحادية. ومن مظاهر ذلك، الانحياز بين البلدين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ومواجهتهما للولايات المتحدة وحلفائها في قضايا مثل سوريا، ورفض الانتقادات الغربية بشأن انتهاكات حقوق الإنسان.

- لذا بدأت السياسات الأمريكية في اتّباع نهج لتطويق كلتا القوتين، فقد ظهرت استراتيجية "التوجه نحو آسيا" في ظل إدارة "باراك أوباما"، وأشارت استراتيجية الأمن القومي في عهد "دونالد ترامب" إلى ضرورة تقوية الولايات المتحدة وحلفائها من أجل المنافسة الفعالة مع الصين وروسيا، وأكدت استراتيجية عام 2022 أن تحديات كل من الصين وروسيا على الولايات المتحدة محسوسة في كل أنحاء العالم، وأن لدى الولايات المتحدة وحلفائها وشركائها فرصة لتشكيل البيئة الخارجية لجمهورية الصين الشعبية وروسيا بطريقة تؤثر على سلوكهما حتى عندما تتنافس معهما.

- جدير بالذكر أن الولايات المتحدة تنظر في رؤيتها لعلاقات الصين وروسيا أن الصين هي

التهديد الأساسي لأمنها القومي أكثر من روسيا، لكنها في الوقت نفسه لا تريد إسقاط روسيا بشكل كامل، لأنه وفقًا للممارسات التاريخية لجأت الولايات المتحدة في بعض الأحيان لإقامة مواءمات مع روسيا أو الصين في مواجهة الأخرى، وبالتالي فهي من الممكن أن تستخدم روسيا في المستقبل للضغط على الصين لترجمة هذا الشعور بالتهديد.

- كما أنه لدى الولايات المتحدة مشكلات وقضايا أعمق في مواجهتها مع الصين، مثل الملكية الفكرية والتنافس التكنولوجي والتجاري، في حين أن روسيا كانت قبل اندلاع الحرب متجهة إلى الغرب أكثر من الصين خاصةً في المجال التجاري والطاقة، لكن فرض اضطرار الموقف الخاص بالأزمة الأوكرانية توافقها مع الصين، وهو ما يعني احتمالية تراجع هذا الأمر بعد انتهاء الأزمة، وقد يزيد هذا الاحتمال حالة تغير قيادة أي من الدولتين لأن الصداقة الشخصية التي تربط بين كل من "شي" و"بوتين" هي أحد أسس التقارب بين الصين وروسيا، وبالتالي من شأن حدوث تغيرات في القيادة تحدي مسار الشراكة.

- قبل اندلاع الأزمة الأوكرانية، حاولت الولايات المتحدة استغلال التقارب بين بكين وموسكو كي تمارس ضغطًا على روسيا عبر التدخل الدبلوماسي لمنع غزو أوكرانيا استنادًا لاعتبارات الصداقة بينهما، لكن الصين رفضت هذا الطلب.

- وخلال الأزمة، تعرضت الصين للعديد من الضغوط الغربية والأمريكية تحديدًا بفرض عقوبات عليها جراء احتمالية تقديمها الدعم لروسيا في الحرب، خاصةً بعد امتناعها عن المشاركة في العقوبات المفروضة على روسيا، لكن واجهت بكين ذلك بكل حزم بأنها ليست طرفًا في الصراع، كما أن المتحدثة باسم وزارة الخارجية "هوا تشون ينغ" صرحت بأن الصين لا تعتقد أن العقوبات هي أفضل وسيلة لحل المشكلات، بجانب أنها عارضت فرض عقوبات أحادية الجانب، خاصةً أن العقوبات لم تؤتِ ثمارها في السابق، وهو ما يفرض ضرورة إعادة النظر في آليات حل النزاع.

- يفرض التعاون بين الصين وروسيا تحديات على الولايات المتحدة تتركز في توسع مجالات اهتمام ونفوذ كلا البلدين في مناطق مثل الشرق الأوسط وأوروبا وآسيا، كما أن الحروب السيبرانية منهما في قضايا مثل الانتخابات الأمريكية أو الملكية الفكرية قد فرضت تحديات على المعايير التي تدعمها الولايات المتحدة إقليميًا ودوليًا.

- كما تسلط الأزمة الأوكرانية الضوء على التهديدات التي تتعرض لها الولايات المتحدة من التعاون الصيني الروسي الذي ظهر بشكل ما في الساحات الدولية الأممية لعرقلة القرارات التي تدين روسيا، بما يقوض أيضًا النظام العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة.

- في الداخل الأمريكي، هناك من يرى أن تعزيز التنسيق الصيني الروسي قد يجعل روسيا بمرور الوقت تحت جناح الصين بشكل لا رجعة فيه، وهذا ما أكده تصريح مدير الاستخبارات الأمريكية "وليام بيرنز" الذي رأى أن روسيا ستكون "مستعمرة اقتصادية" للصين نتيجة لتضرر الاقتصاد الروسي من الحرب. وبالنسبة لمسألة تقديم الصين لمساعدة عسكرية صينية لموسكو في الحرب، فإنه من المرجح أن الصين لن تخاطر باقتصادها في مواجهة عقوبات غربية لمجرد مساعدتها لروسيا، لذا ينظر البعض إلى أن ولاء الصين لموسكو محدود.

- وفي أحد استطلاعات الرأي التي نشرها تقرير لمركز أبحاث "بيو" الأمريكي في أبريل عام 2022، يرى ستة من كل عشرة أمريكيين (حوالي 62%) أن الشراكة بين الصين وروسيا تعد مشكلة خطيرة بالنسبة للولايات المتحدة، مما جعلهم ينظرون بقلق تجاهها.

- لكن يُطرح تساؤل عما إذا كانت الولايات المتحدة قادرة على مواجهة كل من الصين وروسيا في آن واحد، فقد رأى عدد من الاستراتيجيين الأمريكيين أن التفوق العسكري الأمريكي تآكل بشكل كبير لدرجة أنها ستكافح بشدة للفوز، وقد تخسر حربًا ضد الصين وروسيا خاصةً إذا اضطرت للقتال على جبهتين أو أكثر في آن واحد.

- اتصالًا بذلك، من الواضح أن الولايات المتحدة تعمل بالفعل على تطويق كلتا الدولتين في مناطق نفوذهما، فمن ناحية أقامت تحالفات مع حلفائها في منطقة الإندوباسيفيك مثل تحالف "كواد" وتحالف "أوكوس" بالإضافة لتعزيز العلاقات مع دول جزر المحيط الهادئ. ومن ناحية ثانية تمارس سياسة أقصى الضغط على روسيا من خلال توجيه الدعم إلى أوكرانيا والذي وصل إلى حد تقديم قنابل عنقودية إليها قد تساهم في مزيد من تعقيد الموقف من حيث احتماليات استخدام الأسلحة النووية في الحرب.

- أما فيما يخص القدرة على التواجد الأمريكي في مجالات أخرى غير الحرب مع الصين وروسيا للتأثير على العلاقات بينهما، يمكن النظر إلى أن تأثير السياسة الأمريكية في السابق على

التعاون الصيني الروسي كان منخفضًا، فلم يكن لها تأثير على مؤشرات أساسية مثل التجارة ومبيعات الأسلحة والتعاون على مستوى المنظمات الدولية الكبرى مثل الأمم المتحدة.

- قد تعمل الولايات المتحدة على محاولة تحييد طرف عن الآخر في العلاقات الصينية الروسية، فقد لجأت -على سبيل المثال- إلى الضغط على الصين فيما يخص موقفها من الحرب ومن ثم علاقاتها مع روسيا من خلال الإعلان عن احتمالية إعلان استقلال تايوان وهو ما صرح به وزير الخارجية السابق "مايك بومبيو" خلال زيارته إلى تايبيه بأن واشنطن ستتخذ الخطوات الضرورية للاعتراف بالاستقلال، لكن هناك من يرى أن هذه ليست الطريقة المثلى لإبعاد الصين عن روسيا، لكنها تعيد تشكيل الحرب الباردة مع الصين.

- لكن برغم معالجة العديد من المؤسسات الفكرية الأمريكية لمسألة التحديات التي تطرحها الصين وروسيا، وبشكل أساسي بمحاولة تحييد روسيا كي يمكن تسهيل التأثير على الصين، إلا أن القليل من تلك الأفكار حقق آثارًا على تعاون القوتين ضد المصالح الأمريكية.

- إلا أن هذا لا يعني أن الولايات المتحدة لن تقوم بالتأثير في تلك العلاقة حتى لا تراها تزداد قوة، وذلك من خلال استغلال الخلافات بينهما مثل عدم تكافؤ الشراكة، حيث تلعب روسيا دور الشريك الأصغر مع الصين، كما أن لديها مجموعة أدوات محدودة لممارسة النفوذ الدولي خاصةً القدرة على الاندماج في الاقتصاد العالمي.

رابعا: آفاق العلاقات بين الصين وروسيا

- على صعيد الحرب الأوكرانية، من المرُجَّح أن تستمر الصين في دبلوماسية الحياد المرن؛ حيث تتجنب تقديم دعم مباشر لروسيا يتنافى مع العقوبات المفروضة عليها، مع استمرار وتيرة التعاون الاقتصادي والعسكري القائم بين البلدين. وبحسب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين خلال مشاركته بقمة سمرقند فإن "العالم يتغير بسرعة، لكن شيئًا واحدًا فقط لم يتغير: الصداقة بين الصين وروسيا". وأكد ذلك الرئيس الصيني "شي جين بينج" بالقول إن الصين "مستعدة، جنبًا إلى جنب مع زملائها الروس، لأن تكون قدوة لقوة عالمية مسئولة، ولعب دور رائد في جلب هذا العالم السريع التغير إلى مسار التنمية المستدامة والإيجابية".

- كذلك؛ من الواضح أن الصين لا تريد التورط في نزاع لا يمس مصالحها بشكل مباشر، وهذا أحد أسس سياستها الخارجية، إلا أن وساطتها الأخيرة تضمن لها الحصول على عوائد من أطراف النزاع، وفي الوقت نفسه الحفاظ على علاقتها معهم.

- كما أنّ روسيا لا تزال بحاجة إلى استمرار الاعتماد على تعاونها الاقتصادي العميق مع الصين بهدف ضمان المضي قدمًا في تنفيذ أهداف عمليتها العسكرية، إلى جانب إفشال كافة الجهود الغربية الهادفة إلى عزلها عن النظام الدولي.

- على الجانب الاستثماري، يبدو أنه سيستمر تردد العديد من الشركات الصينية في متابعة الاستثمار الاستراتيجي في الاقتصاد الروسي خارج قطاعي النفط والغاز، وذلك لأن كبار المخططين الاقتصاديين الصينيين لم يتأثروا بمعدلات النمو الاقتصادي الروسي وآفاق دورها في الاقتصاد العالمي، وهو ما دفعهم لإعطاء الأولوية للاستثمار في أوروبا وجنوب شرق وجنوب آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط.

- وبالنسبة لوضع الأعمال الصينية في روسيا، فقد يتأثر مستقبلها مع استمرار العراقيل البيروقراطية في روسيا، لأن الكرملين يرى أن كبح البيروقراطية قد يعرّض أسلوب الحكم في البلاد للخطر مع تزايد مسألة الحصول على المنفعة بين الأشخاص مقابل الولاء، لأن الوجود الاقتصادي الصيني الكبير في روسيا سيؤدي لتزايد دور الصين في الاقتصاد والسياسة الروسية باحتمالية نشأة جماعات ضغط في الداخل الروسي.

- البعض يشبه العلاقات المستقبلية بين الصين وروسيا وكأنها بمثابة ما تفرضه كوريا الشمالية على بكين، حيث تستغل سلوكها المتقلب في محاولة الضغط على بكين للحصول على مزيد من الدعم، ويمكن قياس هذا في مستويات التجارة القياسية بين الصين وروسيا منذ بدء الحرب، ففي الوقت الذي تحقق فيه بكين فوائد اقتصادية جراء ذلك، إلا أن روسيا تستغله لرفع ضريبة صداقتها للاستفادة مستقبلًا من علاقتها مع الصين.

أخيرا، يمكن الإشارة إلى مجموعة من المحددات التي يمكن على أساسها تبين مستقبل العلاقات الروسية الصينية، وذلك على النحو التالي:

أولًا، استمرار إدراك القيادة الصينية لأهمية الحفاظ على علاقات وثيقة مع روسيا ومن ثم الاستمرار في مواجهة أي ضغوط هادفة إلى

تقليل مستوى تعاونها وشراكتها مع موسكو نتيجة الحرب. في المقابل، استمرار قبول روسيا بكونها الشريك الأصغر في العلاقة مع الصين خلال الوقت الراهن، وعدم لجوء موسكو إلى تعزيز التعاون، ولا سيما الدفاعي، مع منافسين لبكين، كالهند على سبيل المثال.

ثانيًا، مدى قدرة النظام الروسي على منع أي محاولات تمرد مماثلة لما فعلته "فاجنر" خاصة بين أجهزتها الأمنية والعسكرية.

ثالثًا، الرؤية الصينية لمخططات الناتو بالتوسع بالقرب من الحدود الروسية وما كان ذلك يمثل تهديدًا مستقبليًا للصين يتم التعامل معه على أنه قضية ملحة تستهدف الأمن القومي الصيني، بما يستتبع توثيق العلاقات الأمنية العسكرية مع موسكو، أم أنه مجرد محاولة خنق لروسيا تقف عند حدود الأراضي الروسية.

رابعًا، مدى تأثير العلاقات الروسية الصينية على تعاونهما الثنائي في المنظمات والتجمعات الدولية خاصة تلك التي تستهدف خلق بيئة جديدة توازن المؤسسات الغربية (ويمكن الإشارة هنا بشكل رئيسي إلى تجمع البريكس ومؤسساته التمويلية، ومنظمة شنغهاي للتعاون) ومدى قبول روسيا في إطار هذه التكتلات بمحاولات الصين الجارية للتفرد بالقيادة.

خامسًا، حدود تأثير العامل الأمريكي

في العلاقات الروسية الصينية، وتحديدًا مدى التجاوب الروسي مع المحاولات الأمريكية لفصلها عن مدار الصين، وذلك في حال وصول رئيس جمهوري للسلطة في واشنطن، علمًا بأن ترشح "دونالد ترامب" وفوزه سيعزز من هذه المحاولات.